

## حركات الرفض والاحتجاج عند البدو فى عهد محمد على وخلفائه

بكر يحيى محمد سليمان<sup>(١)</sup>

### تمهيد:

إن دراسة البداوة العربية على جانب كبير من الأهمية، لأن البدو يكونون قطاعا غير هين فى المجتمع العربى، وأن هذه الدراسة تضيف إلى معارفنا ذخيرة ثمينة حية إلى ما نعرفه عن التغيير الاجتماعى والحضارى<sup>(٢)</sup>.  
فلقد كان ارتباط البدوى بشيخ القبيلة الذى كان يعامل أفراد قبيلته معاملة القراء، دون التعالى على أحد منهم، أدى ذلك إلى عدم اعترافهم بسلطة فوق سلطته، أما سلطة الدولة فليست لها فى نظره قيمة أخلاقية، وبالتالي فالخروج عليها لا يعد خرقا لكيانها<sup>(٣)</sup>.  
فشيخ القبيلة هو المصدر الأساسى لكل السلطات التى لا تستمد قوتها الإلزامية من القوانين المدونة، وإنما من التصورات الجماعية والمشاعر والأحاسيس ومن العصبية المتغلغلة الجذور فى حياتهم اليومية<sup>(٤)</sup>.  
والجماعات البدوية تكون لنفسها سلطة دفاع للمقاومة كما تكون نظما تسيير عليها وترجع إلى شيوخها وعقلائها فى كل ما يعن لها، وتقبل إرشاد الشيوخ الذين كان لهم فى النفوس وقار وتجله، كما أنهم لم يعترفوا بأية سلطة فوقهم غير سلطة شيوخهم<sup>(٥)</sup>.

(١) دكتوراه فى التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

(٢) سهير عبد العزيز محمد يوسف: الاستمرار والتغير فى البادية العربية (دراسة ميدانية فى علم الاجتماع البدوى)، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٥.

(٣) إيمان عبد المنعم عامر: العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، تاريخ المصريين، العدد ٩٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٢٢.

(٤) حسن يوسف نصار: قبائل البدو فى مصر (١٨٤٨ - ١٩٥٢م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨م، ص ٨.

(٥) عبد القادر الصبان: لمحة من حياة البدو، مؤسسة الطباعة والنشر بعدين، ١٩٧٨م، ص ١٣، ١٥.

ومع أن المجتمع البدوي لا يكاد يعترف بالفرد إلا أنه يخضعه للعائلة أو للبطن أو للفصيلة، نجد أن البدوي لا يجد في ذلك حجرا على حريته، ولكنه يثور على أى عدوان يصدر من جماعة خارجة مثل قبيلة أخرى أو مثل الدولة<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت نظرة البدوي إلى الصحراء على أنها وطنه الاجتماعى الذى لا يستطيع أحد أن يهاجمه فيه. كما يعدها المصدر الأول والوحيد لحياته، فهو لم يعرف دولة يخضع لسلطاتها ويعترف بقوانينها وتنظيماتها، كما لم يحاول عن طريق إنشاء تحالف بين القبائل البدوية إقامة شكل من أشكال الدولة تكون لها السيادة العليا<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر اعتزاز البدو بحريتهم وتبرمهم بالقيود والروابط الصارمة التى تفرضها شرائع الدولة من بين الأسباب التى تؤدى إلى اختلال الأمن، ولذا ظلوا لبنات قلقة فى بناء المجتمع الريفى<sup>(٣)</sup>.

كما كان لطبيعة المكان أيضا أثره فى حركات التمرد، فلقد ساعدت طبيعة الصعيد المحافظة، وحدوده الطبيعية المغلقة التى تخالف طبيعة الوجه البحرى المفتوحة، والتى ساعدت عربانه على استمرار تمردهم ضد السلطات الحاكمة، وفرارهم إلى الصحراء الغربية، أو إلى سيناء أو غزة، مثلما كان يفعل دائما «أولاد بقر» بالشرقية وعرب البحيرة الذين كانوا يهربون إلى برقة ومنها إلى بلاد المغرب<sup>(٤)</sup>.

ولقد بلغ العربان أقصى درجة من القوة وشدة البأس فى بداية القرن التاسع عشر، وساعدهم على ذلك حالة الفوضى التى سادت فى الفترة ما بين جلاء الحملة الفرنسية وتولى محمد على الحكم عام ١٨٠٥م، فكانوا يخربون القرى ويفرضون الإتاوات على سكان البلاد<sup>(٥)</sup>. كما نجد أن القبائل ظلت فى مرحلة البداوة وعدم الاستقرار، كانوا دائما مصدر قلق وإزعاج لسلطة الدولة فى عهد محمد على وعهود خلفائه<sup>(٦)</sup>.

ويوضح البحث محاولة محمد على وخلفائه فى كسر شوكتهم وإدماجهم داخل المجتمع.

(١) حسن نصار: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣) حسن نصار: المرجع السابق، ص ٣٦١.

(٤) ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٥) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٨.

(٦) وائل بيومي: مديرية الشرقية فى القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٨م، ص ٧٦.

## مقدمة:

لقد كان العربان فى مصر منذ عهود قديمة عنصرا مقلقا للحكومة والإدارة، وقد استطاعوا - سواء كانوا شبه مستقرين أو رحلا بميولهم الحربية - عرقلة مهمة الحكام، فى التصدى لأعمالهم التخريبية<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر هذه التمردات ما حدث فى العصر المملوكى، تلك الثورة العارمة فى عام ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣م. وقد اشترك فيها عرب الصعيد والوجه البحرى بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بناحية دهروط - ديروط الحالية أحد مراكز أسيوط - واستخدم المماليك أقسى وسائل القمع والشدة فى إخمادها، كما قبض على زعيم التمرد وسجن بالإسكندرية. كذلك نجد ثورة عرب الصعيد عام ٧٠٧ هـ/ ١٣٠١م فى مدينتى منفلوط وأسيوط وأخمدت مثل سابقتها<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة لحال العربان تحت الحكم العثمانى، فقد كان امتدادا لما كان يحدث فى العصر المملوكى، فعلى الرغم من استمالة السلطات العثمانية للعربان إلى جانبها بالطرق الودية، اتقاء لشهرهم وتفاديا لتمرداتهم، فإن الموقف العدائى تجاه السلطات الحاكمة، كان قد تأصل فى نفوس هؤلاء العربان، ففى بداية الحكم العثمانى أعلن عبد الدايم بن بقر شيخ عربان الشرقية فى عام (٩٢هـ/ ١٥١٨م) تمردا على السلطة وامتناعه عن دفع الخراج<sup>(٣)</sup>. وقد استمرت تلك الثورات والتمردات طول العصر العثمانى، وكان من أشهرها تمرد عربان أولاد وافى المغاربة بقيادة شيخهم ابن وافى عام ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م، وقام أحمد باشا والى مصر آنذاك بتجريد حملتين على رأس كل منها صنجق، إحداهما إلى البحيرة فى الدلتا، والأخرى إلى البهنسا بالصعيد لمحاربتهم، وعلى الرغم مما بذلته هاتان الحملتان من جهود لكسر شوكة هؤلاء العربان، إلا أنهما لم تستطعا تحقيق الهدف المرجو منهما<sup>(٤)</sup>.

(١) ليلى عبد اللطيف: سياسة محمد على إزاء العربان فى مصر، ط ١، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٤٥.

(٢) إبراهيم العدل المرسى: حركة عمر المصرى فى عهد سعيد، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد ٢٧، ٢٠٠٠م، ص ٣٧١.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٨٠.

(٤) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

أما في عهد محمد على فلم يعتمد على القوة وحدها من أجل استقرار هؤلاء البدو وتحقيق الأمن الداخلي ، إذ كان لابد من مغريات حتى يتخلى البدو عن عاداتهم ، وذلك بمنحهم مساحات من الأرض في المناطق التي استقروا فيها<sup>(١)</sup>.

هذا وقد حاول خلفاء محمد على اتباع سياسته لجذب البدو لمنع تمرداتهم ، ولكن بتولى سعيد باشا حكم البلاد ، نجد أن العلاقة بين البدو والسلطة قد اتخذت نمطا عنيفا ، وشهدت البلاد تمردات خطيرة ومن أشهرها حركة عمر المصرى (١٨٥٤م - ١٨٥٨م)<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا فقد أثمرت جهود محمد على وخلفائه من بعده ثمارها في استقرار البدو وانصهارهم في جسم المجتمع وتحولوا في نهاية القرن التاسع عشر من مرحلة البداوة إلى مرحلة التوطن والتمدن<sup>(٣)</sup>.

### أولا - في عهد محمد على:

لقد بلغ العربان في بداية عهد محمد على حدا كبيرا من الجبروت والبأس ، حتى إنهم كانوا يفرضون الإتاوات على الأهالي ويهددون بالزحف على القاهرة نفسها<sup>(٤)</sup> . وهناك عدة ملاحظات على القبائل المتمردة وهي :

- أن معظمها ينتمى إلى قبيلة بنى سليم الوافدة من غرب إفريقيا من برقة وطرابلس من أبناء برغوث ، وهم الجبارنة ومنهم (الجوازي أولاد أبى جازية) ، والفوايد ومنهم (أسرة ملوم) ، والرماح ومنهم (أسرة الباسل) .
- أنها كانت دائمة التمرد ، حيث كانت وافدة من أقاليم صحراوية اتصف أهلها بالخشونة .
- أن العربان كما يذكر البعض ، كانوا يشبهون الجند العصاة ورؤساءهم المتمردين من حيث ميلهم إلى السلب والنهب<sup>(٥)</sup> .

---

(١) على بركات : تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره على الحركة السياسية (١٨١٣م - ١٩١٤م) ، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٦١ .

(٢) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٨ .

(٣) على شلبي : الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٤٧م - ١٨٩١م) ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٣م ، ص ٢٦٤ .

(٤) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٥) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ٤٠١ ، ٤٠٣ .

وترجع أسباب الرفض والاحتجاج إلى عدة أسباب، منها سياسات الحكومة في أنواعها العديدة للخدمة العسكرية والسخرة والضريبة الجديدة والفردة التي فرضت سنة ١٨٢٢م، وزيادة ضريبة الأرض التي ارتفعت إلى ٢٢٪، وكذلك حدوث الكوارث الطبيعية في هذه السنوات، حيث أغرق النيل الحقول سنة ١٨٢٠م ودمر المحاصيل، وهذا أيضا بشر بظهور وباء الكوليرا الأول الذي كان مقلقا بصفة خاصة، كما حدث تمرد في إقليم منوف عام ١٨٢٣م، والسبب في هذا التمرد هو الابتزاز الشديد من وكلاء محمد علي باشا وأيضا من الخدمة العسكرية الإلزامية<sup>(١)</sup>.

ويتضح أن روح التمرد هذه كانت عند العربان على كل سلطة عدا سلطة شيخ القبيلة عندهم، وذلك يتضح من خلال قول أحد العربان أمام قاضي إقليم المنوفية عام ١٨٤٨م بقوله: «إننى أعترض على المجلس الشرعى للإقليم، وأن شرع الله عند غيركم»، ويقصد بذلك أن ولاءه لشيخ القبيلة<sup>(٢)</sup>.

وكان من أسباب هذا الرفض والاحتجاج في عهد محمد علي هو اعتراض العربان على قرارات الحكومة. ومثال على ذلك، عندما رأى الأهالي أن أراضي العربان من أجود الأراضي ولا يدفعون ضرائبها، فطالبوا بزراعتها ووافقت السلطة على ذلك مقابل ثمانية ريالات عن كل فدان، إلا أن العربان قاموا بطرد الفلاحين من هذه الأراضي بالقوة وهذا يوضح لنا قوة العربان في هذه الفترة<sup>(٣)</sup>.

كما كان العربان يهددون بالرحيل من الأراضي التي يزرعونها إذا ما فرضت عليهم ضريبة زائدة على ما يدفعونه<sup>(٤)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنهم امتنعوا عن دفع الضرائب، وصدرت الأوامر في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م باسترداد بعض الأطيان التي منحتها لهم الحكومة، وذلك لكي يخضعوا لأوامر وقرارات الحكومة<sup>(٥)</sup>.

(١) Lutfi al - sayyid - Afaf, Egypt in The reign of Mohammad Ali, Cambridge univeresty, (١) press. p.

(٢) حلمي أحمد شلبي: المجتمع الريفي في عصر محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) وائل بيومي: المرجع السابق، ص ٨٠.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٥) وائل بيومي: المرجع السابق، ص ٨٣.

ومن الأشياء التي تدل على مخالفة العربان لتعليمات الحكومة، أنهم كانوا يشاركون الفلاحين فى زراعة الأراضى الممنوحة لهم، مما أدى إلى صدور الأوامر بزراعة أراضيهم، ولكن العربان استمروا فى مشاركة الفلاحين وتأجير أراضيهم، مما يدل على تعاليهم على العمل اليدوى<sup>(١)</sup>.

كما يتضح عدم تقبل العربان لعملية التجنيد والالتحاق بالجهادية؛ فعندما طلب من الشيخ أبى بكر حميدة شيخ عربان أولاد على إعداد عدد من الفرسان، فر بعض أفراد القبيلة إلى الغرب لرفضهم الانضمام للجهادية، على الرغم مما كان يدفع لهم من مرتبات مقابل ذلك<sup>(٢)</sup>.

وغالبا ما كان التمرد والهروب يحدث دائما من عربان الغرب أو المغاربة وهؤلاء كانوا دائما من العربان المثيرين للشغب والميالين للتجوال الدائم وسلب ونهب القرى والضواحي<sup>(٣)</sup>. كذلك عندما استخدمت السخرة فى حفر الترع وإقامة الجسور ومد السكك الحديدية، ترك الكثير من العربان أماكن إقامتهم وهربوا إلى جهات أخرى، وذلك لكونهم يأنفون من أداء مثل هذه الأعمال<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك كانت هناك استجابة من بعض الشخصيات البارزة من عربان الصعيد لسياسة محمد على مثل إسماعيل بن نصير من أولاد الهلة وكان من المتعاونين مع السلطة. ومن أجل استقرار هؤلاء العربان كان محمد على يعقد معهم الاتفاقيات، وفى حالة نقضهم لهذه الاتفاقيات كان يستخدم معهم القوة العسكرية ويأخذ زعماءهم كرهائن عنده بالقاهرة وذلك لكى يضمن طاعتهم وولاء قبائلهم، وكان يخصص لهؤلاء الزعماء رواتب وأرزاقا خاصة بهم، وكان لهذه الوسيلة تأثير كبير فى التزام الكثير من القبائل الهدوء والطاعة<sup>(٥)</sup>.

وليس معنى ذلك أن جميع العربان فى خدمة الحكومة، بل كان منهم من يحدث الضرر فى القرى ولذلك صدرت الأوامر إلى مأمورى المديرية بعدم انتقال أحد من العربان

(١) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢) نفسه، ص ٢١١، ٢١٤.

(٣) لىلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٥) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٩٧، ١٢٥.

من مديرية إلى مديرية أخرى إلا بتذاكر مهورية من شيخ القبيلة، وعلى المديرية الأخرى أن تطردهم في حالة عدم وجود هذه التذاكر معهم<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لامتناع العربان عن دفع الضرائب المقررة على الأرض الزراعية، لجأت السلطات في بعض الأحيان إلى سجن بعضهم، بالإضافة إلى منعهم من القيام بأعمال الزراعة<sup>(٢)</sup>. كما يتضح لنا مدى اهتمام محمد علي بتأديب العصاة من العربان من خلال صدور أوامر إلى عباس باشا الأول عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م، وذلك بأمره بالسفر لبر الشام لإبادة عربان نابلس العصاة هناك<sup>(٣)</sup>.

ومن ضمن العقوبات التي وقعت على العربان طردهم من النواحي التي يثيرون فيها الفساد والتخريب، ونقلهم بالقوة إذا أبدوا اعتراضهم على ذلك. أما بالنسبة للعربان القادمين من مناطق أخرى فيتم نقلهم إلى أماكن إقامتهم السابقة، كذلك كان يتم مصادرة مواشى وأغنام العربان العصاة وكذلك أغنام العربان التي تتخطى مراعى السلطات<sup>(٤)</sup>. وفي أحيان كثيرة استخدم محمد علي القوة العسكرية في ذلك لإرغام العربان على تقديم المطلوب منهم للدولة<sup>(٥)</sup>. كما احتفظ محمد علي برهائن من العربان في العاصمة، وجرّد كتائب على بعض شيوخهم وأعدموا<sup>(٦)</sup>.

وفي أحيان كثيرة كان يتعهد شيوخ العربان للحكومة بتأديب العصاة من قبائلهم، ويطلبون بعض الجنود من الحكومة لمساعدتهم في ذلك، مثلما حدث عندما اتبع بعض عربان العبادى القاطنين بالجبل العسيان والبغى واتبعوا عربان البشارة لم يرض شيوخهم عن ذلك، وطلبوا من محمد علي إمدادهم بقوات لتأديب هؤلاء العصاة وقد أجابهم محمد علي إلى ذلك<sup>(٧)</sup>. كما حذر محمد علي مشايخ العربان بتدميرهم إذا لم يوفوا بوعودهم وتسليم العربان الأشقياء، فعندما حدث صدام بين سلطات محمد علي وقبيلة أولاد علي، وكان من

(١) وائل بيومي: المرجع السابق، ص ٨٠ - ٨١.

(٢) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٣) أمين سامى: تقويم النيل، ج ٢، ط ٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص ٤٢٣.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٥) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٦) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧٥.

(٧) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٥٢ - ٥٣.

نتيجة هذا الصدام مقتل بعض الجنود عام ١٨٤٦م، صدر أمر من الكتخدا (نائب الوالى) إلى عبد الله المقرجى شيخ مشايخ عربان أولاد على عام ١٨٤٦م بالقبض على هؤلاء الأشقياء بواسطة مشايخهم، وأن يقدم هؤلاء المشايخ أولادهم كرهائن إلى ناظر العربان، ولكنهم لم يوفوا بما وعدوا به ولذلك حذرهم الكتخدا باتخاذ إجراءات صارمة ضدهم. ومن ذلك يتضح لنا اتباع محمد على لأسلوب الترغيب بجانب أسلوب الترهيب<sup>(١)</sup>.

كما أمر محمد على بتحصيل المبالغ التى صرفت لشيوخ العربان المقصرين فى كسر العربان الأشقياء، وذلك لإهمالهم فى مواجهة هؤلاء العربان الأشقياء، وحدث ذلك عندما صدرت مثل هذه الأوامر إلى مدير الشرقية ومدير الدقهلية ودمياط وشربين عام ١٨٣٤م<sup>(٢)</sup>. ولم يكن أسلوب القوة هو الأسلوب الوحيد الذى اتبعه محمد على لتوطين العربان، وإنما كان الأسلوب الأكثر فاعلية فى استقرارهم عن طريق منحهم أرضا زراعية، لكى تساعدهم على الاستقرار، مثل قبائل الهنادى والفوايد، وقد تم نقل قبيلة الهنادى إلى مديرية الشرقية واستقروا بها بمعرفة محمد على<sup>(٣)</sup>.

وتذكر بعض المصادر أن محمد على لم يمنح العربان أى سند قانونى وإنما وعدهم بأنهم سيعفون من السخرة والخدمة العسكرية فى حالة زراعتهم واستقرارهم فى الأراضى التى معهم<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يتضح لنا أن العربان كانوا دائما عنصر اضطراب للأمن، ولكن محمد على استطاع ترويضهم إلى حد كبير وتمكن من تنمية الجوانب الإيجابية فيهم على حساب الجوانب السلبية<sup>(٥)</sup>.

وعندما أخذ محمد على بعض زعماء العربان إلى القاهرة، كان لهذه الوسيلة تأثير كبير فى إخلاد القبائل للهدوء، وكانت سياسة منحهم رهائن عنده يضمن بهم طاعتهم وولاء قبائلهم، كما أجرى عليهم الرواتب والأرزاق ومنحهم الأراضى، كانت من العوامل التى

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) دار الوثائق القومية: أدراج الدار، درج رقم ٢٧٦، وثيقة رقم ٣٧، دفتر بدون نمرة، أمر كريم عام إلى مديرية الشرقية ومدير الدقهلية ودمياط وشربين، ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، ص ٤٩.

(٣) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٠.

(٤) إيمان عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٥) نفسه، ص ١١١.

ساعدت على توطينهم، كذلك استخدمهم في الجيش ومشاركتهم في الحروب المختلفة في الحجاز والسودان وسوريا وغيرها من الحروب<sup>(١)</sup>. وكذلك كان من العوامل التي ساعدت على توطينهم وإبعادهم عن أعمال التمرد والعصيان .

## ثانيا - البدو في عهد عباس باشا الأول:

واصل خلفاء محمد على نفس السياسة التي اتبعها لتوطين البدو وإن كانت العلاقة بينهم وبين سلطات الدولة قد اتخذت نمطا عنيفا في بعض الفترات، واستمر خلفاؤه في منحهم الأراضي من أجل توطينهم واستقرارهم، واستعمال القوة معهم إذا رفعوا راية التمرد والعصيان وهددوا أمن البلاد<sup>(٢)</sup>.

وكان عباس باشا يحب عربان الهنادى ويفضل المكوث عندهم، ويقال إنه تزوج من إحدى بناتهم وكانت غاية في الجمال. ويبدو أن تودد عباس باشا إليهم هو الذي دفعهم إلى التمرد والعصيان، كما فرض العربان على الزروع المغارم والكلف الفادحة من مال وغلال، وفي حالة تعذر جمعها كانوا يفسدون في البلاد ويهلكون الحرث والنسل<sup>(٣)</sup>.

كما استمر البدو في إثارة جيرانهم من الفلاحين غير مباينين بسلطات الدولة، فأصدر عباس أمرا إلى كل المديرين وإلزام المديرين بضرورة منع ذلك والقبض على الأشقياء والمنحرفين منهم، وعقابهم بأقصى عقوبة، وذلك حفظا للأمن بالبلاد، كما هدد المديرين بعقابهم إذا قصرُوا في ذلك، وعلى الرغم من ذلك استمر البدو في استخدام أعمال العنف مع الفلاحين، واستبدلوا أراضيهم بأراضي الفلاحين الأكثر جودة، فعلى سبيل المثال تقدم أهالي ومشايخ كفر الحيوان ونصف سوادة بمديرية الشرقية بشكوى إلى المعية متظلمين من استيلاء عامر الطحاوى شيخ عربان الهنادى على أطيانهم وأشجارهم ونخيلهم وادعائه بأن ذلك من ضمن الأبعادية التي أنعم بها عليه<sup>(٤)</sup>.

ومع كثرة اعتداء العربان على الفلاحين وارتكابهم أعمال التخريب والنهب واختلال الأمن بالبلاد، وكذلك إيواؤهم المشبهين والمجرمين، فكر عباس في أن يحدث تغييرا في

(١) على شلبي: المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٢) على شلبي: المرجع السابق، ص ٢٧٤.

(٣) وائل بيومي: المرجع السابق، ص ٨٤.

(٤) على شلبي: المرجع السابق، ص ٢٧٦.

مشايخ القبائل ، فعزل بعضهم وعين بدلا منهم ممن كان يرى أنهم أكثر ولاء وطاعة أملا في توطيئهم وخلود قبائلهم للهدوء<sup>(١)</sup>.

وعندما رأى عباس باشا الأول ارتكاب البدو للعديد من المخالفات ، أصدر أمرا إلى جميع شيوخ العرب وحذرهم فيه من ارتكاب الجرائم في ٢٩ ربيع الأول ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م تعميم للمدريات جاء فيه :

«عند وصولي إلى الإسكندرية ومصر هذه المرة سمعت وعلمت أن قبائل العربان انحرفوا عن الطريق المستقيم وابتدأوا يعتدون وينهبون ويسرقون كل ما تصل إليه أيديهم ، فمثل هذه الأمور المخالفة لرضاي يجب أن تستأصل ويضبط فاعلوها ويجازوا أشد الجزاء ، ويعلن إجرامهم للملا ليفتضح أمرهم لأن إزالة وجود هؤلاء الأشقياء ضرورية لتقرير الأمن والسلام»<sup>(٢)</sup>.

كما هددت السلطات في عهد عباس باشا الأول مشايخ العربان الذين يرفضون إرسال الأشخاص المطلوبين من شياختهم للعمل في بعض الأعمال العامة وتوعدهم بالعقاب الشديد إذا لم ينفذوا أوامرهم.

فعلى سبيل المثال قامت السلطات بتهديد الشيخ سليمان الطحاوي من مشايخ الهنادى بالشرقية عندما امتنع عن إرسال ٩٠ شخصا حصته في العمل في عمارة الدار البيضاء<sup>(٣)</sup>. ولذلك قامت السلطات بتهديده إذا لم ينفذ أوامرهم<sup>(٤)</sup>.

(١) على شلبي: المرجع السابق، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) أمين سامي: تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، ص ١٧.

(٣) (\*) الدار البيضاء: وردت في الخط التوفيقي بأنها المحطة الثانية من طريق الحاج بعد ناحية البركة في الصحراء الشرقية واقعة على سكة حديد السويس وعلى بعد (٥٦) كيلو مترا شرق القاهرة، وكانت تسمى الدار الحمراء فأنشأ بها عباس الأول قصرًا للنزهة والرياضة الخلوية وسماها الدار البيضاء أو الدار الخضراء وليس بها ماء ولا نبات، وبالبحث عن مكان هذه الدار تبين لي أنها واقعة على الطريق المعبد المخصص للسيارات بين مصر الجديدة والسويس تجاه أطلال بسطة الدار البيضاء والمعروفة بالمحطة نمرة (٨) الواقعة شرق مدينة مصر الجديدة على بعد ٥٣ كيلو مترا وفي شمال المحطة المذكورة على بعد ٣٥٠٠ متر توجد أطلال الدار البيضاء وقصر عباس في وسط الصحراء.

محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية (من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م)، القسم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٥٨.

(٤) وائل بيومي: المرجع السابق، ص ٨٥.

«شرح صورته أنه لما تبين من إفادة حضرتكم السابق ورودها، أن شيخ مشايخ الهنادى متوقف فى إعطاء التسعين نفراً المطلوبة من عهده لأشغال عمارة الدار البيضاء، وقد حررنا لحضرة ألقى بك بما لزم عن ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن قبيلة الطحاوية كانت من المعارضين لقرارات الحكومة، ويتضح ذلك أيضا من خلال تأخير سليمان الطحاوى فى سداد تقسيط الأموال المقررة عليه وعلى أخيه عامر الطحاوى بمديرية الشرقية، وأن هذا التقسيط متأخر حتى القسط الثالث، وقد هددهم عباس باشا بنزع هذه الأقطان منهم فى حالة عدم السداد<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن استبدال الأراضى هو كل معاناة الفلاحين من العربان، ولكنهم غالبا ما كانوا يرفضون دفع الضرائب أو يجبرون الفلاحين على تحمل قسط أكبر منها، وعندما يقل المحصول بأراضيهم كانوا يغتصبون قوت الفلاحين. وكان الفلاحون لا يعترضون على ذلك لأن البدو كانوا دائما يحملون السلاح، فكان الفلاحون يخافون الاصطدام بهم.

وعلى الرغم من كل الوسائل التى اتخذها عباس للوصول بالبدو إلى الاستقرار والهدوء، فإن الأوضاع والعادات التى ألفها البدو لم تكن تنمحي من عقولهم بسهولة، واستمرت عملية توطينهم تتأرجح بين المد والجزر، وربما كان سعيد أحد فترات الجزر التى شهدتها عملية التوطين<sup>(٣)</sup>.

### ثالثا - فى عهد سعيد باشا:

لم يكد سعيد باشا يتولى عرش البلاد فى عام ١٨٥٤م حتى واجهته مشكلة الأعراب الذين راحوا يتحينون الفرص للخلاص من قيود الأوامر وأغلال السلطة التى بدأها محمد على من أجل الزج بالعربان بين طبقات المجتمع<sup>(٤)</sup>.

ففى عهد سعيد اختل الأمن اختلالا عظيما نتيجة لتمادى العربان فى الغزو والسلب والنهب وإعلانهم التمرد والعصيان، وحذرهم سعيد من ذلك، فأمر مدير المنيا وبنى مزار

(١) دار الوثائق القومية: معية سنوية عربى س/ ١ / ٨ / ١٤، صادر المعية السنوية للدواوين والأقاليم والمحافظات، رقم السجل القديم ٦٢، ج ٣، وثيقة رقم ١٧٨ بتاريخ ١٥ شعبان ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م، ص ٤٦١.

(٢) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣) على شلبى: المرجع السابق: ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٤) حسن نصار: المرجع السابق، ص ٣٧١.

عام ١٨٥٤م بإنذار مشايخ قبائل العربان الموجودين بمديريته. إلا أن إنذار سعيد لم يؤد الهدف المرجو منه، بل إن العلاقة بين البدو والسلطة قد اتخذت نمطا عنيفا، وشهدت البلاد تمردات خطيرة وبخاصة في الوجه القبلي، لعل من أشهرها حركة عمر المصرى<sup>(١)</sup> (٢).

وعمل سعيد باشا على سد المنافذ والطرق عليهم من خلال إصدار أوامره إلى المديرين بذلك؛ ففي عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م أصدر أوامره إلى مدير كردفان بذلك:

«إن عربان الجوازي والعمائم وطرحونة وخلافهم الذين كانوا متوطنين بجهات قبلى قد غلبت عليهم الشقاوة واتبعوا طريق البغى والفساد واقتضت الإرادة العلية إعدامهم بالكلية، وقد حضرنا بمقتضى الأمر العالى لترتيب العساكر مع ما يلزم لسد الطرق عليهم وقطع أثرهم»<sup>(٣)</sup>.

كما أمر سعيد باشا مفتش الوجه القبلي بالاستيلاء على جمالهم وخيولهم كي لا يستطيعوا الفرار مثل غيرهم<sup>(٤)</sup>.

وترجع أسباب التمرد فى عهد سعيد إلى الآتى:

- سبب اقتصادى خاص بطلب سعيد من العربان بضرورة دفع الضرائب والأموال عن الأرض التى يزرعونها.
- محاولة سعيد الاستقرار فى عملية توطين قبائل العربان وإصراره على عمل تذاكر لكل شخص منهم لمعرفة تنقلاته.
- تعدى سعيد على امتيازاتهم وبخاصة الإعفاء من التجنيد.
- جمع السلاح منهم وذلك لأنهم كانوا يستخدمونه فى ارتكاب جرائمهم، ومحاولاته التدخل فى تنظيم شؤونهم.

---

(١) (\*) بالنسبة لعمر المصرى، فقد كان شيخ عرب الجوازي وكانت كلمته مسموعة بين أبناء قبيلته، ويتمتع بنفوذ كبير، وقد منحه عباس باشا ١٠٠٠ فدان من أبعادية بنى سموح وههيا وعزبة القمادير بالمنيا، وقد قاد من قبل حركة تمرد ونفى إلى السودان، حيث أرسل به سابقا إلى فاز أوغلى وقد أفرج عنه بأمر سعيد باشا، وعلى ما يبدو فإن كلمة «المصرى» كانت لقبيلة، ربما لتدل على انتمائه لمصر.

إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٩٦.

(٢) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٣٧٨.

(٣) أمين سامى: تقويم النيل، المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٤) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٧٩.

- إن شخصية سعيد كانت متقلبة ، وعدم تدبيره للأمر<sup>(١)</sup> .  
فلقد بدأ تمرد العربان بالوجه القبلى كما تذكر الوثائق فى شهر رمضان عام ١٢٧١هـ/  
١٨٥٤م ، حيث امتنع بعضهم عن تنفيذ أوامر سعيد باشا ، بل قاموا بأعمال السلب  
والنهب ، وقد بلغ هذا التمرد ذروته فى شهر شوال من نفس العام<sup>(٢)</sup> .  
وعندما قامت قبائل العربان فى الوجه القبلى بالتمرد ، انتشر التمرد كذلك فى الوجه  
البحرى ، وكانت قبيلتا الهنادى والجوازى قد تعاونتا مع عمر المصرى فى التمرد ضد  
سياسة سعيد باشا<sup>(٣)</sup> .

كما قام هؤلاء المتمردون بإبلاغ العربان الآخرين للاتحاد معهم ، حيث أرسل المدير العام  
بأسيوط يقول : «إنه وصله خبر من محمد على باشا مدير أسيوط بأن الشقى عمر المصرى  
قادم إلى جهة أسيوط ، وقد اتحد بالقبائل القاطنة فى المديرية ، وينهبون كل ما يصادفونه  
فى طريقهم . ولذلك صدرت الأوامر إلى مدير أسيوط بالعمل على منع دخول الأشقياء إلى هذه  
المدينة واستكشاف مواقع العربان<sup>(٤)</sup> .

كما قام سعيد باشا بإصدار أوامره لسد الطرق على أشقياء العربان بجهة الواحات  
ومحاولة التضييق عليهم ، كما أعلن أن كل من أحضر عمر المصرى حيا أو ميتا يأخذ  
أبعاديته وأبنيته إنعاما ، كما أصدر أوامره إلى عربان أولاد على للتعاون فى قتال هؤلاء  
الأشقياء<sup>(٥)</sup> .

ويتضح أن عملية سد المنافذ أمام العربان المتمردين لم تأت بثمارها ، حيث استطاعت  
بعض فرق عربان الجوازى مع عربان عمر المصرى شيخهم الانتقال من مكانهم الأصلي  
والهروب إلى الصحراء مما جعل سعيد باشا يشدد على الطرق المحتمل فرارهم منها<sup>(٦)</sup> .  
أما بالنسبة للأهالى وموقفهم من هذا التمرد ، فقد انقسموا إلى فريقين ، الفريق الأول  
تعاون مع السلطات من أجل القضاء على هؤلاء المتمردين ، وقد استخدم سعيد باشا معهم

(١) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٢) نفسه ، ص ٤٠٤ .

(٣) وائل بيومى : المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٤) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٥) أمين سامى : تقويم النيل ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٦) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

عدة أساليب لتشجيعهم على مساعدته ، منها إعطاء مكافآت مالية لمن يرشد عن العربان المتمردين نظير علاقات بينهم أو مقابل مالى<sup>(١)</sup>.

وعندما ازدادت أعمال السلب والنهب من جانب العربان اضطر سعيد إلى البطش بهم عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م وقتل الكثير منهم بحد السيف ومقذوفات نيران المدافع والبنادق والشنق والخازوق ، وفر من نجا منهم إلى الصحراء الغربية ، وصودرت ممتلكاتهم للسلطات . ومن القبائل التى صودرت أطيانها قبيلة الهنادى وخاصة عرب الجوازى ، حيث صودرت أبعادياتهم ومن بينها أبعادية عمر المصرى (قائد التمرد) ، وتم مصادرتها لحساب الميرى عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م ، وقام سعيد بتوزيع بعضها على من دخل فى طاعة السلطة من شيوخ القبائل الآخرين<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان لعملية مطاردة العربان أثرها على العربان المتمردين ، حتى فى قبيلة الجوازى المتزعمة هذا التمرد ، حيث نجد عبد الرحمن وابن أدهس عقيلة ومحمد عبد النبى أبا عمر المصرى ، ومحمد على من مشايخ عربان الجوازى جاءوا من الفشن والمنيا إلى بنى سويف يريدون تقبيل الأعتاب الكريمة ، ووقعوا على التعهد الخاص المماثل للتعهد الذى وقعه مشايخ الحرابى والبراعصة ، كما تعهدوا بطاعة الحكومة وجمع الأسلحة ، كما نجد بعض جماعات من قبيلة الرماح المتمردة طلبت العفو وأعلنت استعدادها لأخذ تذاكر الإقامة ، وقاموا بجمع أسلحة مختلفة وأرسلوها إلى مخازن بنى سويف<sup>(٣)</sup>.

وبرغم ما فعله العربان فقد منح سعيد بعض القبائل الأمان ، ولكن كانت تعليماته للمديرين بضرورة القبض على أشقياء العربان الذين يدخلون المديرية متظاهرين بالطاعة والخضوع وإرسالهم إلى القلعة السعيدية ، كما أن هناك بعض القبائل لم تنل عفو سعيد وإنما أصر على طردهم من البلاد مثل الحرابى ، فأصدر إلى مديرية الجيزة بتاريخ ٥ إبريل عام ١٨٥٧م أمرا بطردهم وإعطائهم مهلة عشرة أيام ليتركوا البلاد أينما شاءوا وإلا فسوف يستخدم القوة فى طردهم ، والسبب فى ذلك أن هذه القبيلة كانت دائمة التمرد واعتاد أفرادها على السلب والنهب وتهديد أمن الريف<sup>(٤)</sup>.

(١) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ص ٤٦٣ ، ٤٦٦ .

(٢) على شلبى : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٣) إبراهيم العدل المرسى : المرجع السابق ، ص ٤١٤ - ٤١٥ .

(٤) على شلبى : المرجع السابق ، ص ص ٢٧٨ ، ٢٨١ .

وكان من بين القبائل التي التمسست العفو عنها واسترداد ما صدر من أراضيها قبيلة الهنادى وخاصة آل الطحاوى، حيث استردوا عام ١٨٥٨م أراضي مساحتها ٤٥٠٠ فدان من أطيان القليوبية التي كانت قد تمت مصادرتها فى عام ١٨٥٤م<sup>(١)</sup>. ويمكن القول بأن العربان الخارجين عن الطاعة فى عهد سعيد باشا قد كسرت شوكتهم، وذلك نتيجة لحمالاته العسكرية ضدهم، حتى إن بعض القبائل فى عهده قد ألفت حياة الاستقرار<sup>(٢)</sup>.

كما نجد أن الشدة التى اتبعها معهم، ربما كانت أحد الأسباب القوية التى جعلت القبائل تخلد للهدوء وتؤثر التوطن والاستقرار فى عهد سلفيه حتى أصبح توطنهم واستقرارهم حقيقة ملموسة فى نهاية القرن التاسع عشر<sup>(٣)</sup>.

#### رابعا - فى عهد إسماعيل:

وفى بداية عهد إسماعيل، وعقب التمرد الذى قامت به بعض قبائل البدو ومن بينهم بدو الهنادى بقيادة عمر المصرى فى عهد سعيد وصدورت أطيانهم نتيجة لذلك صدر أمر عال فى ١٠ نوفمبر عام ١٨٦٣م ببرد أطيانهم ونخيلهم وإعطائهم بدلها إذا كان قد تم التصرف فيها، والذين ليس لديهم أطيان يعطى لهم أطيان<sup>(٤)</sup>.

ولكن إسماعيل اشترط عليهم ألا يعودوا إلى أعمال التمرد ويلتزموا بالطاعة والانقياد للحكومة من أجل توطيئهم واستقرارهم.

«بحيث يكونوا قايمين وملتزمين حسن الطاعة والانقياد للحكومة ويجتنبوا ويجازوا ما يخالف حميد المساعى ويغايير مقام الإنسانية، ولا يعودوا إلى ما كانوا مألوفين عليه أشقياهم من المخالفة والسلب والنهب»<sup>(٥)</sup>.

كما تقدم ولد من أولاد عمر المصرى بالتماس إلى الخديوى إسماعيل يطلب فيه العفو عن والده، وقبل إسماعيل التماسه ولكن بشرط أن يسلك مسلك الاستقامة.

(١) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤٧٦.

(٢) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٤) على بركات: المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٥) أمين سامى: تقويم النيل، المجلد الثانى، ج ٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ٥٢٢.

ويتضح من ذلك أن الدولة أصبحت تضع مزيداً من التقنين لأوضاع العربان، واستمرار منحهم الأراضي<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر العربان في ارتكاب أعمال السلب والنهب والقتل، فأصدر إسماعيل أمرا إلى مفتش الوجه البحرى عام ١٨٦٥م بتحديد ثلاثين يوماً لكل مشايخ البلاد والعربان بحصر كافة من يكون بجهتهم من ذوى البغى والفساد وتقديمهم للمدريات، ومن يظهر عنده بعد ذلك هذه الأوصاف يكون مستحق الجزاء<sup>(٢)</sup>.

وبرغم مما فعله إسماعيل من أجل توطين العربان واستقرارهم، فإننا نجد أنه مازال هناك البعض من العربان يعترضون على قرارات السلطة ويتوقفون عن دفع الأموال المقررة عليهم، مما دفع السلطات لحصر كامل لجميع ممتلكاتهم لتسديد المستحق عليهم. «وذلك بشأن توقف المذكورين عربان عن تعداد مواشيهم ودفع عوايدهم ولهم زروعات، وقرارات مجلس شورى النواب وأمر سعادة ناظر المالية تقتضى إجراء حصر كامل للمواشى المختصين بالزراعة وتسديد عوايدهم»<sup>(٣)</sup>.

كما توقف الطحاوية عن سداد المبالغ المطلوبة منهم لجفلك القطاوية عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ومطلوب تسديد ما عليهم للخبزينة<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك ومهما تكن العلاقة بين سلطات الدولة والعربان، فإن سياسة التوطين فى عهد إسماعيل قد خطت خطوات كبيرة إلى الأمام، وما حدث فى عهد سعيد من قتال وتشتيت قد أثمر ثماره فى عهد إسماعيل وألف الكثير منهم حياة الاستقرار<sup>(٥)</sup>. وكان القصد من إعطاء الأتبان إلى العربان هو استقامتهم وتآلفهم مع الأهالى، وعندما ينتفعون من الزراعة وتوجد عندهم المواشى فلا بد أن يقوموا باستصلاح الأراضى من تلقاء أنفسهم<sup>(٦)</sup>.

(١) على شلى: المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٢) على شلى: المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(٣) دار الوثائق القومية: ل/ ١٥/ ٦٤/ ٢، تابع مال الوارد من مديرية الشرقية عموم، وثيقة رقم ٦٢، ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ص ٢٢.

(٤) دار الوثائق القومية: صادر مأمورية العربان بالوجه البحرى، ل/ ١٥/ ٧٨/ ١، وثيقة رقم ٢٢٤ بتاريخ ١٢ جمادى الآخرة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ص ٨٦.

(٥) على شلى: المرجع السابق، ص ٢٨٦.

(٦) دار الوثائق القومية: ديوان المالية، صادر مأمورية توطن العربان، سجل نمرة ٩٨، نمرة عموم ١، بتاريخ ١٧ ربيع ثانى ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م.

كما أمر إسماعيل بتشكيل جمعية من شيوخ القبائل ومندوبين من طرف الحكومة لوضع لائحة عرفت بلائحة معاملة العربان، وتضم هذه اللائحة خمسة عشر بنداً وخاتمة، وأهم ما جاء فيها، أن العربان معافون من الجهادية والأشغال العامة مع إعطائهم أطيافاً ليعيشوا منها نظير تركهم سكن الخيوش<sup>(١)</sup>.

كما عمل إسماعيل على تشكيل مأمورية للعربان للنظر في الأمور المتعلقة فيما بين بعضهم وبعض أو بينهم وبين الأهالي<sup>(٢)</sup>.

وقد كان محل هذه المديرية هو مجلس الزراعة بالزقازيق، وكان بها موظفون يتقاضون مرتبات عن ذلك بما فيهم المأمور، وقد بلغت ماهياتهم عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ٢١ كيسة وكسور بما فيهم ماهية المأمور<sup>(٣)</sup>.

### خامساً - في عهد الخديوى توفيق:

أما في عهد الخديوى توفيق، فعلى الرغم من وصول معظم العربان إلى حياة الاستقرار وسكن البيوت بدل من سكن الخيش، كما استطاع الكثيرون منهم دفع الأموال المقررة على أراضيهم، فإن هذا لم يكن حال جميع العربان، بل ظل البعض منهم لا يألف حياة الاستقرار<sup>(٤)</sup>.

وعندما رأى مجلس النواب أن البدو أصبحوا يكونون طبقة من الملاك الزراعيين مثلهم مثل الفلاحين الملاك، وجد أنه يجب أن يعاملوا بالمثل، ومعنى ذلك سحب الامتيازات التى تمتعوا بها من قبل، وهنا ظهر تمردهم ورفضهم لذلك، وعقدوا اجتماعاً فى عام ١٨٨٢م لمشايخ الشرقية والغربية والبحيرة والفيوم والوجه القبلى فى طنطا وقرروا بأنهم لن يسمحوا لمجلس النواب بالتدخل فى شئونهم، وأنهم متمسكون بامتيازاتهم.

وأحست الثورة بخطورة ذلك، فأرسلت حكومتها ألفين من الجنود نصفهم إلى الزقازيق والآخر إلى البحيرة للقضاء على تلك الحركة<sup>(٥)</sup>.

(١) إبراهيم العدل المرسى: المرجع السابق، ص ٤٧٨.

(٢) دار الوثائق القومية: صادر مأمورية العربان بالوجه البحرى، ل/ ١٥ / ٧٨ / ١، وثيقة رقم ٢، ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م.

(٣) دار الوثائق القومية: أدراج الدار، درج رقم ٢٧٨، دفتر رقم ١٩٣٠، محفظة أوامر، أمر كريم من رأس التين إلى

الداخلية، وثيقة رقم ١٤٦، ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م، ص ١٣٩.

(٤) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) لطيفة محمد سالم: القوى الاجتماعية فى الثورة العربية، جامعة الزقازيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٩٨١م، ص ٤٥١.

كما تعدوا على موظفي الحكومة عندما كانوا يقومون بجمع الأنفار من العربان للقيام ببعض الأعمال الخاصة بالحكومة ، مما يؤكد تمسكهم بامتيازاتهم مهما كلفهم ذلك. فقد قام أحد عربان قبيلة الهنادى بالتعدى على أحد موظفى الحكومة وهو صالح عبد الله وكيل شياخة عراكى سعد بطنطا وعطلوه عن جمع الأنفار المطلوبة من شياخة عراكى سعد شيخ عربان البهجة والهنادى<sup>(١)</sup>.

كما استغل العربان حالة الفوضى التى سادت البلاد فى أثناء الثورة العرابية وامتنعوا عن دفع الأموال المقررة على أراضيهم، بل واستغلال أهالى البلاد وتحصيل أموال منهم بدعوى أنهم متوجهون للجيش، فكتب أحمد عرابى إلى مدير بنى سويف بإجبارهم على سداد الأموال ووضع من يعتدى منهم على الأهالى فى السجن<sup>(٢)</sup>.

وقد قامت الحكومة بإصدار أوامرها فى ٣١ مايو عام ١٨٨٥م بشأن معاملة الأشقياء، وألزمت مشايخ القبائل بتسليم الأشقياء إلى المديرية، وفى حالة عدم ضبط هؤلاء الأشقياء يسلم شيخ القبيلة أحد أولاده أو أقاربه إلى الحكومة كرهينة لحين ضبط الأشقياء<sup>(٣)</sup>.

وفى ٢٠ سبتمبر عام ١٨٨٨م صدر قرار مجلس النظار بخصوص بعض عربان العباددة<sup>(٤)</sup> الذين انضموا إلى الثورة المهديّة فى السودان، بمصادرة أراضيهم وإعطائها للمهاجرين الوافدين من السودان<sup>(٥)</sup>.

وبذلك نجد أن السلطات كانت دائما بالمرصاد لمن يقوم بمثل هذه الحركات من البدو.

### مدى نجاح السلطات فى استقرار البدو وتوطينهم:

مما لا شك فيه أنه كان للسلطات دور كبير فى إخضاع هؤلاء البدو وإبعادهم عن حركات التمرد، بالإضافة إلى عوامل طبيعية أخرى ساعدت فى توطينهم واستقرارهم. ولعل من أهم الأسباب التى ساهمت فى ذلك، كان إقرار حقوق الملكية فى مصر قبل غيرها من الدول وهو دافع مهم على الاستيطان وكذلك تطور الزراعة إلى جانب إدخال نظام

(١) دار الوثائق القومية: محافظ الثورة العرابية، محفظة رقم ٢، التلغرافات، وثيقة رقم ٤٧٤، ٩ أغسطس ١٨٨٢م.

(٢) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٣) وائل بيومى: المرجع السابق، ص ٩٤ - ٩٥.

(٤) جرجس حنين: الأطيان والضرائب فى القطر المصرى، ط ١، القاهرة، ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، ص ١٩٩.

(٥) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

الرى والاهتمام بالمحاصيل النقدية، وكذلك تطور وسائل النقل بالسكك الحديدية، وكذلك عن طريق النيل، كما كانت الحكومة المركزية القوية فى عهد محمد على من أهم الأسباب التى عجلت بتوطين البدو فى نهاية القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>.

كما كانت هناك عوامل ساعدت على هذا الاستقرار، وذلك أن مصر من الناحية الجغرافية والاقتصادية كانت مهياًة لأن تقوم بها حكومة مركزية قوية، كما كان لاتساع الرقعة الزراعية أثر كبير، فقد حولت الصحراء إلى أرض تبذر بالبذور مما تسبب ذلك فى إغلاق المسالك والفجوات التى كان يتسلل منها البدو إلى المنطقة الآهلة بالسكان<sup>(٢)</sup>.

وعلى كل حال، فلم يكد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى كان معظم البدو قد استقروا وتوطنوا<sup>(٣)</sup>.

## الخاتمة:

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة الموجزة أن العربان كانوا دائماً ما ينزعون إلى الرفض والاحتجاج، وذلك يرجع إلى طبيعة الحياة عندهم وتمسكهم بعباداتهم وتقاليدهم التى تجعل من شيخ القبيلة رمزاً للنظم والقوانين عندهم، رافضين أى تدخل آخر وهذا بدوره ما كان يعرضهم للاصطدام بالسلطات والقوانين المتبعة.

ولكى تبعدهم السلطات عن مثل هذه الاحتجاجات والتمردات حاولت معهم مرة بالشدة ومرة باللين، وهذه السياسات كان لها دور بارز فى محاولة إخضاع هؤلاء البدو، وقد اتبعها محمد على وكانت ناجحة إلى حد كبير.

كما حاول خلفاء محمد على معهم إلى حد كبير من أجل تطبيق هذه السياسة، ولكننا نجد أن أحد خلفائه وهو سعيد قد استعمل معهم الشدة بدرجة كبيرة من أجل إخضاعهم، مما تسبب ذلك فى صدام كاد يقتل فيه سعيد باشا نفسه، وهذا يدل على مدى مقاومة هؤلاء البدو لمن يحاول المساس بنظمهم والتدخل فى شئون حياتهم.

ولكننا نجد بعد ذلك من تغير أسلوب الحياة وتطور وسائل النقل ودخول الكثير من المحاصيل النقدية التى تدر عائداً كثيراً على الفرد، وكذلك متطلبات الحياة المختلفة، كل

(١) على شلبى: المرجع السابق، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) ج. بيير: دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة، ط ١، ترجمة عبد الخالق لاشين، مكتبة الحرية،

القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٣٥، ٣٧.

(٣) على شلبى: المرجع السابق، ص ١٧٢.

ذلك جعل البدو يسعون إلى الحصول على مسايرة باقى أفراد المجتمع وتغيير نظم حياتهم، وذلك بطلب الحصول على الأراضى الزراعية والاستفادة منها. وعلى الرغم من اتجاه معظم أفراد البدو إلى التوطن والعمل بالزراعة والبعد عن حياة التنقل والترحال، فإننا نجد أن هناك فئة قليلة من هؤلاء البدو رفضت الاستقرار والتوطن وبقيت على حالها من تنقل وترحال.

